

## مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٢: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا جَلَا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الاحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد،

بِإِذْنِ أَصْدَقِ الْحَدِيثِ كِتَابِ اللَّهِ، وَأَحْسَنِ الْهَدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرِّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلِّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلِّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلِّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

مَنْ يَرُدُّ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُ فِي دِينِهِ، وَيُلْهِمُهُ رُشْدَهُ، وَيَنْبِيرُ بِصِيرَتِهِ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا، وَدَعَاءً مُجَابَبًا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

ويعد،

فَالْإِيمَانُ فِي الْإِسْلَامِ قَائِمٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مُتَوَقِّفٌ عَلَى الْمَحَبَّةِ.

فمن أحب الله ، وأبغض الله ، فقد استكمل عرى الإيمان ، لأن أوثق عرى الإيمان : الموالاتة في الله والمعاداة .

والمحبة في الله ليست مما يُشترى بمال ، أو يورث عن آباءٍ وأجدادٍ ، إنما المحبة أمر يقع في قلب المؤمن يُلقيه الله في قلب من يشاء من عباده ، ولذلك قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ .

{ الأنفال : ٦٣ } .

ولذلك أقرر أن كل محبة لا تكون لله فهي باطلة ، وكل عمل لا يُراد به وجه الله باطل ، ومن هذا المنطلق ينبغي لكل من آمن بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا أن يتنافس ويتسابق إلى أن يصل إلى محبة الله ورسوله ﷺ .

وقد أحسن الأخ الفاضل ، والتلميذ النجيب أشرف الأزهرى صنيعًا عندما سطر تلك الصفحات في بيان علوم شأن محبة الرسول ﷺ وكيف كان الصحب الكرام يتنافسون في محبته ، وفي ذلك أبلغ الردود على تقاعس أهل الإسلام في نصرته نبيهم ﷺ ، وأبلغ العظات في تذكيرهم .

فجزاه الله خير الجزاء ، وأحسن مشوبته ، وجعل تلك الصفحات في ميزان حسناته ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو مريم

مجدى فتحى السيد

طنطا - مصر

## مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الاحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أحبتني في الله؛ خلق الله - عزَّ وجلَّ - الخلق وشرع لهم الشرع موافق لفطرتهم التي خلقهم عليها سبحانه، ولم يأمرهم إلا بما في وسعهم الإتيان به، كما قال سبحانه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وكان من جملة ما شرع لهم وأوجب عليهم سبحانه: هو محبة النبي ﷺ محبة تفوق محبة النفس والأهل والولد والمال والعشيرة، وتوعدهم على ترك

ذلك وعيداً شديداً، ثم حكم عليهم بالفسق وأعلمهم أنهم من جملة من ضل ولم يهده الله، وعلق كمال إيمانهم على محبته ﷺ أكثر من الولد والوالد والناس أجمعين، وأن من حُرِّمَ محبة النبي ﷺ قد حُرِّمَ طعم الإيمان، والذي جاهد نفسه وأتى بأسباب محبة النبي ﷺ الواجبة عليه يفوز بمعبته ﷺ في الجنة ويفوز كذلك بمعية الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم -، وإن لم يأت بفعلهم . . كما قال أنس رضي الله عنه : «إني أحب أبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم، وإن لم أقوم بمثل فعلهم».

❁ هيا بنا أخي الحبيب نجاهد أنفسنا للقيام بأسباب محبة النبي ﷺ ؛ لنفوز بتذوق طعم الإيمان في الدنيا ثم بمعية النبي ﷺ وأصحابه في الفردوس الأعلى في الآخرة.

لذا، فقد قمت جاهدًا بمحاولة لتجميع أسباب محبة النبي ﷺ، وقد قدمت لها بيان وجوب محبته ﷺ ثم بثبوت محبته ﷺ، ثم ذكرت الأسباب الموصلة لتلك المحبة المنشودة، ثم ذكرت علامات محبته ﷺ لنختبر أنفسنا ونقف على مستوانا الحقيقي لمحبة النبي ﷺ.

نسأل الله - عزَّ وجلَّ - الإخلاص والقبول

أخوكم

(أبو عمر)

أشرف أحمد محمد بن الزهري

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

## صور من محبة الصحابة ﷺ

### ♦ للنبي ﷺ ♦

الصحابة ﷺ هم أعلم الخلق بمراد الحق - سبحانه وتعالى - من قوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الاحزاب: ٦).

يقول السعدي - رحمه الله -: أقرب ما للإنسان وأولى ما له نفسه، فالرسول أولى بالمؤمن من نفسه؛ لأنه ﷺ بذل لهم من النصح والشفقة والرفقة ما كان به أرحم الخلق وأرفهم، فرسول الله أعظم الخلق منة عليهم من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر إلا على يديه وبسببه؛ فلذلك وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس أو مراد أحد من الناس مع مراد الرسول أن يقدم مراد الرسول وأن لا يعارض قول الرسول بقول أحد كائناً من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم.

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: فمن حقه ﷺ أن يؤثره العطشان بالماء، والجائع بالطعام، وأنه يجب أن يوقى بالنفس والأموال كما قال - عزَّ وجلَّ -: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (التوبة: ١٢٠). فنقاء قلوب الصحابة وفهمهم الصحيح جعلتهم يستحضرون كل هذه المعاني التي أرادها ربنا - سبحانه وتعالى - في كتابه، لذلك تجد صور محبتهم الصادقة للنبي ﷺ كثيرة ومتكررة.

### من هذه الصور النيرة:

ما ورد عن أبي بكر ﷺ في محبته للنبي ﷺ: لقد أحب أبو بكر ﷺ النبي ﷺ حباً ملك عليه لُبه وفؤاده وجوارحه، حتى إنه كان ليتمنى أن يفدي

النبي ﷺ بنفسه وماله وولده والناس أجمعين .

تقول عائشة رضي الله عنها لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ ، وكانوا ثمانية وثلاثون رجلاً، ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: يا أبا بكر، إنا قليل، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفها لوجهه ونزاً (أي وثب) على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه .

وجاء بنو تميم (قوم أبي بكر) يتعادون فأجلت قريش عن أبي بكر وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله؟ فمسوا منه بالستهم وعذلوه ثم قاموا، وقالوا لأمه: أم الخير، انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه. فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلي ابنك ذهبت، قالت: نعم .

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت أم جميل وأعلنت

الصباح، وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟، قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟، قالت: في دار ابن الأرقم. قال: فإن لله عليّ ألا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى آتي رسول الله ﷺ... فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتنا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت<sup>(١)</sup>.

### ومن صور محبة الصديق للنبي ﷺ:

ما ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ وقد أخذته قريش فذا يجباه<sup>(٢)</sup> وهذا يتلته<sup>(٣)</sup> وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدة؟ قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجباه هذا ويتلته هذا وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر: ٢٨).

ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم فقال: ألا تحييونني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون، ذلك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه<sup>(٤)</sup>.

(١) «البداية والنهاية» (٣/٢٩-٣٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٤٦-٤٧): رواه البزار

ورجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن أبي الحرث وهو ثقة.

(٢) يجباه: أي فجأة وبغته.

(٣) يتلته: يحركه ويزعزعه من مكانه.

(٤) «تاريخ الخلفاء» (٣٧).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

### ومن صور محبته صلى الله عليه وسلم للنبي صلى الله عليه وسلم:

ما رواه ضبة بن محصن العنزى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في قصة ذكرها قال: فقال عمر: والله ليليلة من أبي بكر خير من عمر، عمر هل لك أن أحدثك بليته ويومه؟ قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: أما ليلته: فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هارب من أهل مكة خرج ليلاً فبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا يا أبا بكر، ما اعرف هذا من فعلك»، قال: يا رسول الله، أذكر الرصد، فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك، قال: فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه، فلما راه أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيت حملة على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار، فأنزله ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، فدخل فلم ير شيئاً فحملة فأدخله. وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاعي فخشى أبو بكر أن يخرج منهن شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فآلقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه الحيات والأفاعي وجعلت دموعه تنحدر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: «يا أبا بكر، لا تحزن إن الله معنا»، فأنزل الله سكينة إلا طمأنية لأبي بكر.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٦).

فهذه ليلته، وأما يومه: فلما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي، وقال بعضهم: لا نصلي ولا نزكي، فأتيته ولا أكوه نصحاء، فقلت: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم، فقال: جبار في الجاهلية خوار في الإسلام، فبماذا أتألفهم، أبشعر مفتعل أو بشعر مفترى؟ قبض النبي ﷺ وارتفع الوحي، فوالله لو منعوني عقلاً كانوا يعطون رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، قال: فقاتلنا معه، فكان والله رشيد الأمر، فهذا يومه<sup>(١)</sup>.

### ومن صور محبته أيضاً للنبي ﷺ:

إنفاذ جيش أسامة تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، وقد أشار بعض الصحابة منهم عمر رضي الله عنه بعدم إنفاذه لارتداد من ارتد من العرب.

**قال ابن كثير- رحمه الله:** فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد الذين قد أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة، فيغيروا على تلك الأراضي، فخرجوا إلى الجرف فخيّموا بها، وكان بينهم عمر بن الخطاب ويقال وأبو بكر الصديق، فاستثناه رسول الله ﷺ منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك، فلما مات عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة.

وكانت جونسيا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في (صحيح البخاري) عن ابن عباس، وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام ولم يفروا ولا ارتدوا، المقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٤٧٧).

من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم؛ لأن ما جُهِز بسببه في حال السلامة، كان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فامتنع الصديق من ذلك وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة رضي الله عنه وقال: «والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل امهات المؤمنين لأجهز جيش أسامة». وأمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أربعوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يوماً ويقال سبعين يوماً ثم أتوا سالمين غانمين ثم رجعوا فجهزهم حيثئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة<sup>(١)</sup>.

فهذا موقف إيماني من الصديق رضي الله عنه، وكان أعلم الصحابة بمقاصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم تعظيمًا لأمره، وقد ظن كثير من الصحابة منهم عمر رضي الله عنه أن عدم إنفاذ جيش أسامة إلى شمال الجزيرة هو الأفضل، حتى يتفرغوا لقتال المرتدة، ولكن الصديق أبى أن يفك عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من بركة تعظيمه لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تم ما قصده أبو بكر وكذا أذهب جيش أسامة قبائل العرب، فعاد كثير منهم إلى الإسلام.

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٦/٣٤٣).

عمر رضي الله عنه يبكي حبا وشوقاللنبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَتَعَفُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ (الفتح: ٢٩).

رضي الله عنه نصرروا الله فنصرهم واعزهم، واحبوا رسوله فأحبهم وأنزل فيهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ومدحهم بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقال. فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨).

فرضى الله على الفقراء منهم والمهاجرين: ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يُتَعَفُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: ٨)، ورضى الله عنهم إذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم والديهم وأولادهم والناس أجمعين، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا اصحابي، فلوان احدكم انفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه»<sup>(١)</sup>.

ورضى الله عن عمر بن الخطاب، حيث كان يبكي حبا وشوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد كان جذع تخطب الناس عليه، فلما كثر الناس اتخذت منبراً لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم بأبي أنت وأمي،

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، والترمذي (٣٨٦١).

لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته، فقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب، فقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٣)، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك أولهم، فقال - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ (الاحزاب: ٧)، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون: ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (الاحزاب: ٦٦).

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجراً تفجر منه الأنهار فماذا أعجب من أصابعك حين نبع منها الماء، صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح ﴿غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ﴾ (سبا: ١٢)، فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح، صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت الذراع لا تأكلني فإني مسمومة، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦)، ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا، فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت: «اللهم اغضرنقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٦٩٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٨٩/٣)، وقال الهيثمي (١١٧/٦): رجاله رجال الصحيح، والمراد بقوله: «اللهم اغضرنقومي فإنهم لا يعلمون»: يوم أحد.

ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنه وطول عمره، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو لم تجالس إلا كفوؤاً لك ما جالستنا، ولو لم تنكح إلا كفوؤاً لك ما نكحت إلينا، ولو لم تؤاكل إلا كفوؤاً لك ما واكلتنا، فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعاً منك ﷺ .

فهذه أخي الحبيب ترجمة لما يدور في خلد الصحابة من محبة النبي ﷺ .

### ومن صور محبة عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ أيضاً:

تفضيله لأسامة بن زيد على ولده عبد الله بن عمر؛ لحب رسول الله ﷺ لأسامة وأبيه .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فرض عمر لأسامة ثلاثة آلاف وفرض له ألفين وخمسمائة، فقلت له: يا أبت لم تفرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف ولي ألفين وخمسمائة، والله ما شهد أسامة مشهداً غبت عنه، ولا شهد أبوه مشهداً غاب عنه أبي، قال: صدقت يا بني، ولكني أشهد لأبوه كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وهو أحب إلى رسول الله ﷺ منك<sup>(١)</sup> .

هذا الموقف من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يظهر فيه شدة محبته لرسول الله ، وإيثار من هو أحب إلى رسول الله ﷺ .

■ وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشجاعته التي يعجز عن وصفها يوم أن نام على فراش النبي ﷺ .

(١) رواه الحاكم (٥٥٩/٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

قال ابن إسحاق: أتى جبريل ﷺ رسول الله ﷺ فقال: «لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي تبنت عليه»، قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فتم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده هذا إذا نام.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه علي أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم يعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم ناراً تحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: «أنا أقول ذلك، أنت احدهم»، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات: ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ۝ إِنَّكَ لِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَعْشَيْنَاهُمُ فُهُمَ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ١-٩)، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمد، قال: خيكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل

منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش مستجياً يبرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: لقد كان صدقنا الذي حدثنا<sup>(١)</sup>.

فهذا موقف إيماني من حيدرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وما أكثر مواقفه الإيمانية وهو يعلم رضي الله عنه أن قريشاً تقصد رسول الله ﷺ يريدون أن يفرقوا دمه في القبائل، وقد أثبت الله - عزَّ وجلَّ - مكرهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِطُوا يَدَهُمْ أَوْ يَقْطُوكَ أَوْ يَخْرِبُوا أَوْ يَكْفُرُوا أَوْ يَخْرِبُوا أَوْ يَمْكُرُوا وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)، ولكن النفوس تهون حتى ينجو رسول الله ﷺ، إنه الحب الذي ملا قلوب الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ فهانت عند ذلك الأرواح والأموال.

### وتظهر محبة الأنصار للنبي ﷺ يوم بدر:

قال ابن إسحاق: «وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا بغيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال: وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال: وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال رسول الله ﷺ: «خيراً»، ثم دعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا علي أيها الناس»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا برآء

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٢/٢٢٢-٢٢٣).

من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من غير بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله لكانك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «اجل»، قال: لقد ائمانا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله». فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا وابشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله كانني أنظر إلى مصارع القوم غداً»<sup>(١)</sup>.

● وأنس بن النضر رضي الله عنه يا له من محب .. عن أنس رضي الله عنه قال: غاب أنس ابن النضر عم أنس بن مالك عن قتال بدر، فلما قدم قال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين -، واعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين -.

ثم مشى بسيفه فلقبه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد واهماً لريح الجنة. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/٣٣-٣٤).

بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قد مثلوا به. قال: فما عرفناه حتى عرفته أخته بينانه. قال أنس: فكنا نقول أنزل فيه هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الاحزاب: ٢٣)، إنها فيه وفي أصحابه<sup>(١)</sup>.

• وفي رواية: «انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمربن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟، فقالوا: قتل رسول الله ﷺ، فقال: ما تصنعون بالحياة بعده، فقوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِلَ، وبه سمي أنس بن مالك»<sup>(٢)</sup>.

• وأبو دجانة، يتلقى النبل بظهره حتى لا يصاب النبي ﷺ بأذى. . عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن، أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد حين غشيه القوم: «من رجل يشري لنا بنفسه»، فقام زياد بن السكن في خمسة نفر من الأنصار وبعض الناس يقول: إنما هو عمارة بن زياد بن السكن، فقاتلوا عن رسول الله ﷺ رجل ثم رجل يقتلون دونه حتى كان آخرهم زياداً أو عمارة ابن زياد، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ثم فاءت من المسلمين فيئة فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: «ادنوه مني»، فادنوه منه فوسده قدمه، فمات وخذته على قدم رسول الله ﷺ وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحني على رسول الله ﷺ حتى كثرت فيه النبل<sup>(٣)</sup>.

• وسعد بن الربيع وهو يجود بنفسه يقول لقومه: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢٦/٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢٤٥/٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٣٤/٣).

عن خارجه بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع، وقال لي: «إن رأيتَهُ فاقرنه مني السلام، وقل له يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟»، قالت: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبتَهُ وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد: إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك أخبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله ﷺ وعليك السلام، قل له: يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله إن خُلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف. قال: وفاضت نفسه<sup>(١)</sup>.

❖ وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في أحرج اللحظات يقول: «نحري دون نحرك يا رسول الله».

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار فيهم طلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل، فلحقهم المشركون فقال: «إلا أحد لهؤلاء؟»، فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: كما أنبت يا طلحة، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ثم قُتل الأنصاري فلحقوه فقال: «إلا أحد لهؤلاء؟»، فقال طلحة: مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فأذن له، فقاتل مثل قتاله وقاتل صاحبه ورسول الله ﷺ ومن بقي معه يصعدون، ثم قُتل فلحقوه، فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة: أنا يا رسول الله فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له، فقاتل مثل قتال من كان قبله حتى لم

(١) ابن هشام (٣/٣٨-٣٩)، والبيهقي في الدلائل، (٣/٢٤٨).

يبقى معه إلا طلحة، فغشوهما، فقال رسول الله ﷺ: «من لهؤلاء»، فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله فقال: حس. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله أو ذكرت اسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء»، ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون<sup>(١)</sup>.

وفي أثناء انسحاب رسول الله ﷺ إلى الجبل عُرِضَتْ له صخرة من الجبل، فنهض إليها ليعلوها فلم يستطع لأنه كان قد بدن وظاهر بين الدرعين وقد أصابه جرح شديد، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها، وقال: «أوجب طلحة، أي الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وشرَّفَ نبي الله ﷺ فينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: «يا نبي الله، بأبي أنت وأمي لا تشرف لا يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»<sup>(٣)</sup>.

### حمراء الأسد واستجابة المحبين :

لما عاد النبي ﷺ من أحد وقد قتل من الصحابة رضيه وجرح من جرح منهم وأشيع بين الصحابة الكرام أن رسول الله ﷺ قد قتل فأثابهم الله - عزَّ وجلَّ - غمًّا بغم، وعاد الصحابة الكرام رضيه إلى المدينة بعد أن دفنوا الشهداء الكرام في مصارعهم وغما إلى علم النبي ﷺ أن أبا سفيان بن حرب يفكر في أن يعود إلى المدينة من أجل أن يتأصل شأفة المسلمين ويبيد خضراءهم، فندب النبي ﷺ الصحابة للخروج، واشترط أن لا يخرج معه إلا من خرج

(١) حسن أخرجه النسائي (٣١٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٢٣٦/٣).

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢٣٨/٣)، ابن هشام (٢٩/٣-٣٠).

(٣) البيهقي في «الدلائل» (٢٤٠/٣).

بالأمس، فخرج الصحابة رضي الله عنهم استجابة لأمر الله - عزَّ وجلَّ - وأمر رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم على ما بهم من جراح ومن حزن على القتلى تعظيمًا لأمر الله - عزَّ وجلَّ - وأمر رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم .

وسجل الله - عزَّ وجلَّ - لهم هذا الموقف الإيماني في كتابه الخالد، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٧٢-١٧٤) .

قال ابن إسحاق، فلما كان الغد يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في الناس بطلب العدو، فأذن مؤذنه ألا يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن حرام فقال: يا رسول الله، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أؤثرك بالجهاد مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم على نفسي فتخلف مع أخوتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فخرج معه، وإنما خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم مرهبًا للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم<sup>(١)</sup> .

✽ جابر بن عبد الله يرى بالحبيب شيئًا لا صبر له عليه: قال: كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق نحفر فيه، فلبثنا ثلاثة أيام لا نطعم شيئًا ولا نقدر عليه،

(١) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف، (٣/١٧٣-١٧٤) .

فعرضت في الخندق كدية<sup>(١)</sup>، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذه كدية قد عرضت في الخندق فرششنا عليها الماء، فقام رسول الله ﷺ وبطنه معصوبة بحجر، فأخذ المعول أو المسحاة ثم سمي ثلاثاً ثم ضرب فعادت كثيراً<sup>(٢)</sup> أهيل.

فلما رأيت ذلك من رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، ائذن لي. قال: فأذن لي، فجئت امرأتي فقلت ثكلتك أمك، إني قد رأيت من رسول الله ﷺ شيئاً لا صبر عليه، فما عندك؟ قالت: عندي صاع<sup>(٣)</sup> من شعير وعناق<sup>(٤)</sup>، قال: فطحنا الشعير وذبحنا العناق وأصلحناها وجعلناها في البرمة وعجنت الشعير ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ، فلبث ساعة ثم استأذنته الثانية فأذن، فجئت فإذا العجين قد أمكن، فأمرتها بالخبز وجعلت القدر على الأثافي، ثم جئت رسول الله ﷺ فساررته فقلت: إن عندنا طعيماً لنا، فإن رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك فعلت، فقال: «ما هو؟ وكم هو؟»، قلت: صاع من شعير وعناق، قال: «ارجع إني اهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الأثافي ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتي»، ثم قال للناس: «قوموا إلى بيت جابر»، قال: فاستحييت حياءً حتى لا يعلمه إلا الله، فقلت لامرأتي: ثكلتك أمك وقد جاءك رسول الله ﷺ وأصحابه أجمعون، فقالت: أكان رسول الله ﷺ سألك عن الطعام؟ قلت: نعم، قالت: الله ورسوله أعلم، قد أخبرته بما كان عندك، فذهب عني بعض ما كنت أجد، قلت: لقد صدقت.

فجاء رسول الله ﷺ، فدخل ثم قال لأصحابه: «لا تضاعطوا»<sup>(٥)</sup>، ثم برك على التنور وعلى البرمة، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ اللحم من البرمة

(١) كدية: الأرض الصلبة.

(٢) الكتيب: المجتمع من الرمل.

(٣) الصاع: مكيال وهو خمسة أرتال وثلاث.

(٤) عناق: الأثافي من ولد المعز قبل استكمال الحول.

(٥) لا تضاعطوا: لا تزدحموا

فشرذ ونغرف ونقرب إليهم، وقال رسول الله ﷺ: «يجلس على الصحيفة سبعة او ثمانية، فلما أكلوا كشفنا التنور والبرمة فإذا هما قد عادا إلي أملاً ما كانا، فشرذ ونغرف ونقرب إليهم، فلم نزل نفعل ذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة وجدناها أملاً ما كانا حتى شبع المسلمون منها وبقيت طائفة من الطعام، فقال لنا رسول الله ﷺ: «إن الناس قد أصبتهم مخمصة»<sup>(١)</sup>، فكلوا واطعموا، فلم نزل يومنا نأكل ونطعم»<sup>(٢)</sup>.

فانظر - رحمني الله وإياك - كيف صبر جابر رضي الله عنه على جوعه، لكنه لم يصبر على جوع النبي ﷺ فأسرع وقال لزوجته: «قد رأيت من رسول الله ﷺ شيئاً لا صبر عليه»، وعند الحاكم قال لها: «قد رأيت من رسول الله ﷺ أمراً غاظني»<sup>(٣)</sup>. فهل يكون هذا إلا من محب صادق في محبته.

● وحذيفة بن اليمان، ذاك المحب مع شدة الخوف والجوع والبرد يعلن محبته للنبي ﷺ.

عن محمد بن كعب القرظي قال: قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيت رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولجعلناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالحنديق، وصلى رسول الله ﷺ من الليل هويّاً ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع أدخله الله الجنة»، فما قام رجل.

(١) مخمصة، جوع.

(٢) صحيح، أخرجه البخاري (٤١٠١).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣/٣١)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/٤٢٥).

ثم صلى رسول الله ﷺ هويًا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة؟»، فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقدّم أحد دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: «يا حذيفة، قم فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا».

قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ما تفعل لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بناد، فقام أبو سفیان بن حرب فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جلسه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلا بن فلان، ثم قال أبو سفیان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ: «لا تحدث شيئاً حتى تأتيني»، ولو شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نساءه مُرجل، فلما رأته أدخلني إلى رحله وطرح عليّ طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت عطفان بما فعلت قريش فانشمروا إلى بلادهم<sup>(١)</sup>.

أرأيت، اجتمع على حذيفة البرد والجوع والخوف، ومع ذلك أسرع في إجابة النبي ﷺ؛ لأنه صادق في محبته للنبي ﷺ.

• وما هو خيب بن عدي، يضرب المثل الأعلى في محبة النبي ﷺ .

فهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه يصلبه المشركون في مكة ويحتشدون حوله في شماتة ظاهرة، ويشحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر في جنون ووحشية، فالتفت إليهم خيب رضي الله عنه قائلاً: «دعوني أركع ركعتين»، فتركوه فصلاهما، فلما سلم قال: «والله لولا أن تقولوا أن ما بي جزع من الموت لزدت»، فكان أول من سن الركعتين عند القتل، ثم قال: «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً». فاقترب منه أبو سفيان قائلاً: أيسرك أن محمداً عندنا نضرب عنقه وإنك في أهلك؟، فقال: «لا والله، ما يسرني أني في أهلي وأن محمداً ﷺ في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه»<sup>(١)</sup>.

هذا هو الحب الصادق الذي تغلغل في قلوبهم - رضي الله عنهم جميعاً - .

• وروي أن طلحة بن البراء رضي الله عنه، لما لقي النبي ﷺ يجعل يلصق برسول الله ﷺ ويقبل قدميه، قال: يا رسول الله، مرني بما أحببت، ولا أعصي لك أمراً . . فعجب النبي ﷺ لذلك وهو غلام، فقال له عند ذلك: «أذهب فاقتل أباك»، فخرج مولياً ليفعل، فدعاه فقال له: «أقبل، فإني ثم أبعث بقطيعة رحم»<sup>(٢)</sup>.

• وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: أهدي إلى النبي ﷺ قوس فدفعها إليَّ رسول الله ﷺ يوم أحد، فرميت بها بين يدي رسول الله ﷺ حتى اندقت سيتها، ولم أزل على مقامي نُصب وجه رسول الله ﷺ ألقى السهام

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٦).

(٢) ذكره صاحب كتاب «حياة الصحابة» وعزاه للكثير (٥٠/٧)، «الإصابة» (٢/٢٢٧).

بوجهي كلما مال سهام منها إلى وجه رسول الله ﷺ مِيلَت رَأْسِي لِأَقْي وَجْهِ  
رسول الله ﷺ بلا رمي أرميه<sup>(١)</sup>.

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة  
حيصة، وقالوا: قتل محمد حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت  
امراة من الأنصار محرمة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم  
استقبلت به أولاً، فلما مرت على أحدهم قالت: من هذا؟ قالوا: أبوك أخوك  
زوجك ابنك، حتى دفعت إلى رسول الله ﷺ، فأخذت بناحية ثوبه ثم  
قالت: «أبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذ سلمت من عطب»<sup>(٢)</sup>.

فكل هذه الصور التي ذكرناها من محبة الصحابة الصادقة للنبي ﷺ لا  
تتأتى إلا لمن توفرت لديه أسباب قوية لمحبتته، فلماذا أحبوه؟ هذا ما سوف نجيب  
عنه في الأسطر القليلة القادمة.



(١) المصدر السابق وعزاه للطبراني.

(٢) المصدر السابق وعزاه للهيثمي في «المجمع» (٦/١١٥)، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط».

## لماذا أحبوه ﷺ

لقد بعث النبي ﷺ إلى الناس بالدعوة الربانية، ولم يكن له دعاية من دنيا، فلم يُلْقَ إليه كنز وما كانت له جنة يأكل منها ولم يسكن قصرًا، فأقبل المحبون يبأيعون على شظف من العيش وذروة من المشقة يوم كانوا قليلًا مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس من حولهم، ومع ذلك أحبه أتباعه كل الحب .. حوصروا في الشعب وضيق عليهم في الرزق، وابتلوا في السمعة، وحوربوا من القرابة، وأوذوا من الناس، ومع هذا أحبوه كل الحب.

سُحِبَ بعضهم على الرمضاء، وحُبِسَ آخرون في العراء، ومنهم من تفتن الكفار في تعذيبه وتأنقوا في النكال به، ومع هذا أحبوه كل الحب .. سُلِّبُوا أوطانهم ودورهم وأهليهم وأموالهم، طُردوا من مراتع صباهم وملاعب شبابهم ومغاني أهلهم، ومع هذا أحبوه كل الحب .. ابتلي المؤمنون بسبب دعوته وزلزلوا زلزالًا شديدًا وبلغت منهم القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنونًا، ومع هذا أحبوه كل الحب .. عُرِضَ صفوة شبابهم للسيوف المصلتة فكانت على رؤوسهم كأغصان الشجرة الوارفة.

وقدّم رجالهم للمعركة فكانوا يأتون الموت كأنهم في نزهة أو في ليلة عيد؛ لأنهم أحبوه كل الحب .. يُرْسَلُ أحدهم برسالة ويعلم أنه لن يعود بعدها إلى الدنيا، فيؤدي رسالته على أحسن وجه. ويُبْعَثُ الواحد منهم في مهمة ويعلم أنها النهاية فيذهب راضيًا؛ لأنهم أحبوه كل الحب.

ولكن لماذا أحبوه وسعدوا برسالته واطمأنوا لمنهجه واستبشروا بقدومه ونسوا

كل ألم وكل مشقة وجهد ومعاناة من أجل اتباعه؟

إنهم رأوا فيه كل معاني الخير والفرح وكل علامات البر والحق، لقد كان آية للسائلين في معالي الأمور، لقد أبرد عليل قلوبهم بحنانه وأثلج صدورهم بحديثه، وأفعم أرواحهم برسالته، لقد سكب في قلوبهم الرضا فما حسبوا للآلام في سبيل دعوته حساباً، وأفاض على نفوسهم من اليقين ما أنساهم كل جرح وكدر وتنغيص، صقل ضمائرهم بهداه وأثار بصائرهم بسناه.

ألقى عن كواهلهم أصار الجاهلية وحط عن ظهورهم أوزار الوثنية، وخلع من رقابهم تبعات الشرك والضلال، وأطفأ من أرواحهم نار الحقد والعداوة، وصب على المشاعر ماء اليقين فهدأت نفوسهم وسكنت أبدانهم واطمأنت قلوبهم وبردت أعصابهم. وجدوا لذة العيش معه والانس في قربه والرضا في رحابه والامن في اتباعه والنجاة في امثال أمره والغنى في الاقتداء به ﷺ.

وكذلك لأن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قد جمع لنيبه الأسباب الموجبة للمحبة من كمال الخلق والخلق والإحسان على أمته والإنعام عليهم ورافته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ورحمة للعالمين، ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه، ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم.

فأي إحسان أجلُّ قدرًا وأعظم خطراً من إحسانه إلى جميع المؤمنين، وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين، إذ كان ذريعتهم إلى الهداية، ومنقذهم من العماية، وداعيتهم إلى الفلاح والكرامة، ووسيلتهم إلى ربهم، وشفيعهم والمتكلم عنهم، والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد. فقد استبان لك أنه ﷺ مستوجب للمحبة الحقيقية شرعاً لإفاضته

الإحسان وعمومه الإجمال، فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفاً أو استنقذه من هلكة أو مضرة - مدة التأذي بها قليل منقطع -، فكيف بمن منحه ما لا يبئد من النعيم، ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم. أليس هو أولى بالحب، وإذا كان يحب بالطبع مَلِكٌ لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو عالم بعيد الدار لما يُشاد من علمه أو كرم شيمته، فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال.. أليس هو أحق بالحب وأولى بالميل.

فقد كان بعض الصحابة لا يصرف بصره عنه محبة فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد أسرت قلوبهم بحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كان مجبولاً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مكارم الأخلاق ومكارم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم أنها خير أخلاق، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثاً وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم عفواً ومغفرة، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حِلماً؛ كما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أنه قال في صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة: «محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وافتح به أعيناً عمياً وأذناً صماً وقلوباً غلفاً حتى يقولوا لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

وأرحم الخلق وأرافهم بهم وأعظم الخلق نفعاً لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيراً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل، وأشدهم تواضعاً، وأعظمهم

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٣٨).

إيثاراً على نفسه، وأشد الخلق ذباً عن أصحابه وحماية لهم ودفاعاً عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر الله به وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه . . فهو أحق بقول القائل:

برد على الأدنى ومرحمة ♦♦♦ وعلى الأعادي مازن جلد

وهو كما قال فيه علي رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس صدراً، وأصدقهم لهجة، والينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته ثم أرقبله ولا بعده مثله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

فقوله: «كان أجود الناس صدراً»: أراد به بر الصدر وكثرة خيره وإن الخير يتفجر منه تفجيراً، وإنه منطوق علي كل خلق جميل وكل خير كما قال بعض أهل العلم: «ليس في الدنيا كلها محل كان أكثر خيراً من صدر رسول الله ﷺ»، قد جمع الخير بحذافيره وأودع في صدره ﷺ».

وقوله: «أصدق الناس لهجة»: هذا مما أقر له به أعداؤه المحاربون، ولم يجرب عليه أحد من أعدائه كذبة واحدة قط، دع شهادة أوليائه كلهم له، فقد حاربه أهل الأرض بأنواع المحاربات مشركوهم وأهل الكتاب منهم وليس أحد منهم يوماً من الدهر طعن فيه بكذبة واحدة صغير ولا كبيرة.

قال المسورين مخزومة: «قلت لأبي جهل - وكان خالي - : يا خال، هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول مقالته؟ فقال: والله يا ابن أختي لقد كان محمد وهو شاب يُدعى فينا الأمين، فلما خطَّه الشيب لم يكن ليكذب، قلت: يا خال، فلم لا تبعمونه؟ فقال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف

(١) «شماثل الترمذي» (٧).

فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، فلما تجاثنا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي، فمتى نأتيهم بهذه. وقال تعالى يسليه ويهون عليه قول أعدائه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٢)﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَاهُمْ نَصْرَنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴿ (الأنعام: ٣٣-٣٤) .

وقوله: «الينهم عريكة»: يعني أنه سهل قريب من الناس مجيب لدعوة من دعاه قاض لحاجة من استقضاه، جابر لقلب من سأله لا يحرمه ولا يرده خائباً إذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه وتابعهم فيه، وإن عزم على أمر لم يستبد دونهم بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم.

وقوله: «أكرمهم عشرة»: يعني أنه لم يكن يعاشر جليساً له إلا أتم عشرة وأحسنها وأكرمها، فكان لا يعبس في وجهه ولا يغلظ ولا يؤاخذ بما يصدر من جفوة ونحوها، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان ويحتمل غاية الاحتمال، فكانت عشرته لهم احتمال أذاهم جملة لا يعاقب أحداً منهم ولا يلومه ولا يبادئه بما يكره.

قال الحسين عليه السلام: سألت أبي عن سيرة النبي عليه السلام في جلسائه فقال: كان النبي صلى الله عليه وآله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤايس منه راجيه ولا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده.

ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة من منطقه ومسأله حتى إن كان أصحابه

ليستجلبونهم ويقول إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأردفوه، ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام.

وقوله: «من راه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة احبه»: فقد وصفه بصفتين خص الله بهما أهل الصدق والإخلاص، وهما الإجلال والمحبة، فكان قد ألقى عليه هبة منه ومحبة، فكان كل من يراه يهابه ويجله ويملاً قلبه تعظيماً وإجلالاً وإن كان عدواً له، فإذا خالطه وعاشره كان أحب إليه من كل مخلوق، فهو المجل المَعْظَم المحبوب المكرم، وهذا غاية كمال المحبة أن تُقرن بالتعظيم والهيبة، فالمحبة بلا تعظيم ولا هيبة ناقصة، والتعظيم والهيبة من غير محبة كما يكون للظالم القادر نقص أيضاً، والكمال أن تجتمع المحبة والود والتعظيم والإجلال، وهذا لا يوجد إلا إذا كان في المحبوب صفات الكمال التي يستحق أن يُعظم ويُحب لأجلها.

ولما كان الله - سبحانه وتعالى - أحق بهذا من كل أحد كان المستحق لأن يُعظم ويُكبر ويُهاب ويُحب ويود بكل جزء من أجزاء القلب ولا يجعل له شريك في ذلك، وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله - سبحانه وتعالى - أن يُسوي بينه وبين غيره في هذا الحب والتعظيم . . قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥)، فأخبر سبحانه أن من أحب شيئاً غير الله مثل حبه كان قد اتخذهُ نداً، وقال أهل النار في النار لمعبودهم: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٩٧-٩٨)، ولم تكن تسويتهم لهم بالله في كونهم خلقوا السموات والأرض أو خلقوهم أو خلقوا آباءهم، وإنما سواهم برب العالمين في الحب لهم كما يُحب الله، فإن حقيقة العبادة هي الحب والذل وهذا هو الإجلال والإكرام الذي وصف به نفسه في قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨).

وأصح الأقوال في ذلك أن الجلال هو التعظيم والإكرام هو الحب وهو سر قول العبد «لا إله إلا الله والله أكبر»، وكما في مسند الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الظوا بيا ذا الجلال والإكرام»<sup>(١)</sup>. أي الزموها والهجوها بها.

وكل محبة وتعظيم للبشر فإنها تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبتنا للنبي ﷺ وتعظيمه فهي من تمام محبة الله وتعظيمه، وكذلك محبة الصحابة وأهل العلم والصلاح، فهي من تمام محبتنا لله ورسوله.. والمقصود أن النبي ﷺ ألقى عليه من المهابة والمحبة ولكل مؤمن مخلص حظ من ذلك؛ قال الحسن البصري - رحمه الله -: «إن المؤمن رزق حلاوة ومهابة»، يعني يُحب ويُهاب، ألبسه الله سبحانه من ثوب الإيمان المقتضي لذلك، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب وأجل في صدره من رسول الله ﷺ في صدر أصحابه رضي الله عنهم.

❖ قال عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد إسلامه: إنه لم يكن شخص أبغض إليّ منه، فلما أسلمت لم يكن شخص أحبّ إليه منه ولا أجل في عينيه منه. قال: ولو سئلت أن أصفه لكم لما أطق لآني لم أكن أملاً عين منه إجلالاً له.

❖ وقال عروة بن مسعود لقريش: «يا قوم، والله لقد وفدت على كسرى وقصر والملوك فما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمداً ﷺ، ما يحدون النظر إليه تعظيماً له، وما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فيدلك بها وجهه وصدره، وإذا تواضاً كادوا يقتلون على وضوئه»، فكان ﷺ من يراه مفاجأة وبغته قبل الاختلاط به هابه لسكونه ووقاره وما أسبع الله عليه من الكمال، ومن خالطه يقول إنه أحب الناس إليه مما يرى من

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، وأحمد (١٧٧/٤).

لطفه به وقربه منه وإقباله عليه واهتمامه بأمره ونصيحته له وبذل إحسانه إليه واحتمال جفوته، فأى عشرة كانت أو تكون أكرم من هذه العشرة، فلما كان رسول الله ﷺ مشتملاً على كل ما يقتضي محبته ﷺ أسرت القلوب بحبه .

**أخي الحبيب ..** والله لو ظلمت أتحدث عن مقتضيات ودواعي محبة الصحابة للنبي ﷺ لما استطعت، ولكن عليك أن تعلم أخي الحبيب أن النبي ﷺ كان قرآناً متحركاً بين الناس . ولقد جمع الله - جل وعلا - في شخص الحبيب أشخاص كثيرة ومتعددة في آن واحد، فهو رسول من عند الله يتلقى الوحي من السماء ليربط السماء بالأرض بأعظم رباط وأشرف صلة، وهو رجل سياسة من طراز فريد يقيم أمة ودولة من فتات متناثرة، فإذا هي بناء شامخ لا يطاوله بناء، تذل الأكاسرة وتهين القياصرة وتغير مجرى التاريخ في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً، وهو رجل حرب من طراز أوحده، وهو أب وزوج ورب أسرة كبيرة تحتاج إلى كثير من النفقات، من نفقات الفكر والشعور والتربية والنصح، فضلاً عن نفقات المال .

وهو إنساني من طراز فريد كأنه ما خلق إلا ليزيل الدموع كأنه ما خلق إلا ليمسح الآلام عن القلوب يمنح الناس وقته وفكره وعقله وماله ونصحه وروحه وشعوره؛ كأنه ﷺ ما خلق إلا لیسعد الناس في الدنيا قبل الآخرة، وأخيراً أخي الحبيب أتركك مع هذين المثالين لتزداد حباً فوق الحب للنبي ﷺ .

• كان عمير بن وهب من شياطين قريش، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة، فلما أصيب أصحاب بدر جلس مع صفوان بن أمية في الحجر فقال صفوان: قُبِحَ لك العيش بعد قتلى بدر، قال: أجل والله ما في

العيش خير بعدهم، ولولا دين عليّ لا أجد له قضاء وعيالا لا أدع لهم شيئا لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأت عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها أقول قدمت على أبي هذا الأسير. فرح صفوان بقوله وقال: عليّ دينك وعيالك أسوة عيالي في النفقة لا يسعن شيء ويعجز عنهم. فحمله صفوان وجهزه وأمر بسيف عمير فصُقل وسمّ وقال عمير لصفوان: اكتمني أياما.

فأقبل عمير حتى قدم المدينة فنزل بباب المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف فعمد لرسول الله ﷺ، فنظر إليه عمر بن الخطاب وهو في نفر من الأنصار يتحدثون عن وقعة بدر ويذكرون نعمة الله - عزّ وجلّ - فيها، فلما رآه عمر معه السيف فزع وقال: «عندكم الكلب هذا عدو الله الذي حرش بيننا يوم بدر وحرزنا للقوم»، ثم قام عمر فدخل على رسول الله ﷺ فقال: «هذا عمير بن وهب قد دخل المسجد متقلداً السيف وهو الفاجر الغادر، يا نبي الله لا تأمنه على شيء»، فقال رسول الله ﷺ: «ادخله عليّ»، فخرج عمر فأمر أصحابه أن يدخلوا على رسول الله ﷺ ثم يحترسوا من عمير إذا دخل عليهم، فأقبل عمر وعمير حتى دخلا على رسول الله ﷺ ومع عمير سيفه، فقال رسول الله ﷺ: «تأخر عنه»، فلما دنا منه عمير قال: أنعموا صباحاً، وهي تحية أهل الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله عن تحيتك تحية أهل الجنة؛ وهي السلام»، فقال عمير: إن عهدك بها لحديث، فقال رسول الله ﷺ: «قد أبدلنا الله خيراً منها، فما أقدمك يا عمير»، قال: قدمت على أسير من عندكم، ففادونا في أسرائنا فإنكم العشيرة والأهل، فقال رسول الله ﷺ: «فما بال سيف في عنقك؟»، قال عمير: قبّحها الله من سيوف، فهل أغنت عنا شيئاً، إنما نسيته في عنقي حين نزلت، ولعمري إن لي بها عبرة.

فقال رسول الله ﷺ : «اصدقني ما اقدمك»، قال: ما قدمت إلا في أسيري، قال رسول الله ﷺ : «فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحجر؟»، ففرع عمير وقال: ماذا شرطت له؟ قال: «تحملت له بقتلي على ان يعول بنيك ويقضي دينك، والله تعالى حائل بينك وبين ذلك»، قال عمير: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، كنا يا رسول الله نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر، كما قال رسول الله ﷺ لم يطلع عليه أحد غيري وغيره، فأخبرك الله - عَزَّ وَجَلَّ - به، فأمنت بالله ورسوله والحمد لله الذي ساقني هذا المساق، وفرح به المسلمون حين هداه الله تعالى، وقال عمر رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده، لخنزير كان أحب إلي من عمير حين طلع، وهو اليوم أحب إلي من بعض ولدي»، وقال رسول الله ﷺ : «اجلس يا عمير نواسيك»، وقال لأصحابه: «علموا أخاكم القرآن»، وأطلق له رسول الله ﷺ أسيره... الحديث<sup>(١)</sup>.

● عن عبد الله بن سلام أن زيد بن سعة، وهو الخبر الكبير من أحبار اليهود، قال: ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين: الأولى - يسبق حلمه جهله، والثانية - لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا. يقول زيد ابن سعة: فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات مع علي بن أبي طالب، وإذ برجل من الأعراب يقبل على النبي ﷺ ويقول: يا رسول الله، إن قومي في قرية بن فلان قد دخلوا في الإسلام، ولكنهم دخلوا في الإسلام طمعًا، فلقد أخبرتهم أنهم إن دخلوا في الإسلام أتاهاهم رزقهم رغداً، وقد نزلت بهم اليوم شدة وقحط، فأخشى أن يخرجوا من الإسلام طمعاً

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/١٤٧).

كما دخلوا في الإسلام طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغشهم به فعلت يا رسول الله. فالتفت الحبيب المصطفى صاحب الخلق إلى علي بن أبي طالب وسأله: «هل عندنا شيء من المال؟»، فقال علي بن أبي طالب: «لا والله يا رسول الله، لقد نفذت المال كله»، يقول زيد بن سعدة: فذنوت من محمد ﷺ وقلت له: «يا محمد، هل تبيني تمرّاً معلوماً في حائط بني فلان إلى أجل معلوم»، فقال النبي ﷺ: «نعم، أبيعك تمرّاً معلوماً إلى أجل معلوم، لكن لا تسمي حائط بني فلان»، فوافقت على ذلك وأعطيت النبي ثمانين مثقالاً من الذهب. يقول زيد بن سعدة: فأخذها النبي كلها وأعطها لهذا الأعرابي وقال: «اذهب إلى قومك فاغشهم بهذا المال»، فانطلق الأعرابي بالمال كله.

ولم يمض غير قليل من الوقت ورسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه بعد أن صلى جنازة علي صاحب له، وأتى إلى جدار ليجلس إليه في ظله، فاقترب منه زيد بن سعدة ونظر إلى النبي بوجه غليظ وأخذ بقميص النبي ﷺ وردائه، وهز الحبر اليهودي رسول الله ﷺ هزاً عنيفاً وهو يقول له: «أد ما عليك من حق ومن دين يا محمد، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلا مُطلاً في أداء الحقوق وسداد الديون»، فالتفت إليه عمر بن الخطاب وعينه تدور وقال له: «يا عدو الله، اتقوا لرسول الله ﷺ ما اسمع، وتفضل برسول الله ﷺ ما أرى؟ والذي نفسي بيده، لولا أنني أخشى قوته وغضبه لضربت رأسك بسيفي هذا».

يقول زيد بن سعدة، وأنا أنظر إلى النبي ﷺ وإذا بالنبي ينظر إلي في سكون وهدوء، ثم التفت المصطفى إلى عمر بن الخطاب وقال له: «يا عمر، لقد كنت أنا وهو في حاجة إلى غير ذلك، يا عمر، لقد كان من الواجب عليك أن تأمرني بحسن الأداء وأن تأمره بحسن الطلب، يا عمر، خذ وأعطه حقه وزده عشرين صاعاً من

تمر جزاء ما روعته.

يقول زيد بن سعدة: فأخذني عمر بن الخطاب وأعطاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت له: ما هذه الزيادة يا عمر؟ فقال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدها جزاء ما روعتك»، فالتفت الحبر اليهودي إلى عمر وقال: «ألا تعرفني؟»، قال: «لا»، قال: «أنا زيد بن سعدة»، قال عمر: «حبر اليهود؟»، قال: نعم، فالتفت إليه عمر وقال: «فما الذي حملك على أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت؟ وعلى أن تفعل برسول الله ﷺ ما فعلت؟»، فقال زيد: «يا ابن الخطاب، ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه، ولكنني لم أختبر فيه خصلتين من خصال النبوة»، فقال عمر: «وما هما؟»، قال حبر اليهود: «الأولى - يسبق حلمه جهله، والثانية - لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً . . أما وقد عرفتهما اليوم في رسول الله، فأشهدك يا عمر أنني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وبعد أخي الحبيب، فلتردد معي للحبيب المصطفى ﷺ هذه الشهادة العظيمة من خالقه - جل وعلا -: ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).



(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٧٨/٦)، وروى قصة إسلامه الطبراني، وابن حبان، والحاكم في «المستدرک» (٣/٦٠٤-٦٠٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

## ♦ وجوب محبة النبي ﷺ ♦

إن الله - عَزَّ وَجَلَّ - افترض على عباده محبة رسوله ﷺ ، وسد الطريق إلى جنته إلا من سلك خلف رسول الله ﷺ ، وشرح له صدره ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره. وقام الصحابة الكرام بلوازم هذه المحبة لرسوله ﷺ ، ففدوه بأبائهم وأمهاتهم وأبنائهم، وقاتلوا دونه ورفعوا رايته وأعزوا سته ونصروا شريعته، وما فارق النبي ﷺ الدنيا حتى دانت جزيرة العرب بالإسلام، ورفرف علم التوحيد على أقطارها، وواصل أصحابه الكرام والتابعون لهم بإحسان المسيرة بعده ﷺ يفتحون البلاد وقلوب العباد به (لا إله إلا الله). وظهرت آيات الصدق والمحبة في أصحابه رضي الله عنهم وتابعيهم.

ومحبة الرسول ﷺ عقد من عقود الإيمان ولزوم سنته واتباع هديه علامة المحبة الصادقة لله - عَزَّ وَجَلَّ - ولرسوله ﷺ ، كما أنه من أعظم أسباب محبة الله - عَزَّ وَجَلَّ -، قال الحسن: ادعى ناس محبة الله - عَزَّ وَجَلَّ - فابتلاهم بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣١).

قال الصحابة رضي الله عنهم: إنا نحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يجعل حبه علامة، فأنزل الله هذه الآية، وتسمى آية الابتلاء، وقد دلت أدلة الكتاب والسنة على وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من محبة الآباء والأبناء والناس أجمعين. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤)، والله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يتوعد أحداً بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب أو فعل محرم.

قال القاضي عياض، «فكفى بهذا حُضاً وتنبهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنه من ضل ولم يهده الله»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الاحزاب: ٦)، فهو ﷺ أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها. . عن أنس رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي. رحمه الله: كل من آمن بالنبي ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلو من وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده ويبدل نفسه في الأمور الخطيرة ويجد مخبر ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر؛ لما قر في قلوبهم من محبته غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات - والله المستعان -<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»<sup>(٤)</sup>.

(١) «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (١٨/٢). (٢) متفق عليه: البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٣) «فتح الباري» (٧٧/١). (٤) متفق عليه: البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

قال البيضاوي - رحمه الله - : «وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيمان؛ لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى وأنه لا مانع ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن رسول الله ﷺ هو الذي يبين له مراد ربه . . اقتضى ذلك أن يتوجه بكلية نحوه، فلا يحب إلا من يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقيناً، ويخيل إليه الموعد كالواقع فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: «يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي»، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: «فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي»، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر»<sup>(٢)</sup>. قال أهل العلم: «الآن، قد كمل إيمانك يا عمر. قال الخطابي: معناه أن تصدق في حبي حتى تنفى نفسك في طاعتي وتؤثر رضي علي هواك، وإن كان فيه هلاكك. قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): قال الإمام الخطابي: «حب الإنسان لنفسه طبع، وحب الإنسان لغيره اختيار بتوسط الأسباب»، أي أنا أحبك لأسباب وأنت تحبني لأسباب، أما حبك لنفسك وحبني لنفسي فهذه جبلة وطبيعة. يقول: «وما طلب النبي ﷺ من عمر حب الطبع، بل ما أراد منه إلا حب الاختيار، إذ لا سبيل إلى قلب الطباع عما جُبلت عليه».

أراد النبي ﷺ أن يلفت نظر عمر رضي الله عنه إلى أن الله - عزَّ وجلَّ - قد منَّ عليه فأنجاه من النار لما أرسل له المصطفى المختار ﷺ، ولكن هناك فرق بين

(١) «فتح الباري» (١/٧٨).

(٢) البخاري (٦٦٣٢)، وأحمد (٤/٢٣٣).

حب يدور على الاتباع وبين غلو يدور على الابتداء، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: الإطراء هو المدح بالباطل والكذب، فلا إطراء ولا غلو. والحق أن الغلو في رسول الله صلوات الله عليه قد بلغ عند بعض مدعي المحبة حداً خطيراً، فخلعوا على رسول الله صلوات الله عليه صفات ومنحوه خصائص الربوبية والألوهية، كهذا الذي جعل رسول الله صلوات الله عليه وحده ملاذ وملاجأ إذا نزلت به الشدائد، فقال مخاطباً المصطفى صلوات الله عليه:

يا أكرم الخلق ما لي من الوذبه ♦♦ سواك عند حدوث الحادث العمم  
ولن يضيق رسول الله جاهك بي ♦♦ إذا الكريم تجلي باسم منتقم  
فإن جودك الدنيا وضرتها ♦♦ ومن علومك علم اللوح والقلم<sup>(٢)</sup>

ويقول آخر: «فشان محمد صلوات الله عليه في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالى، فليس لمحمد من محمد شيء، ولذلك كان نوراً ذاتياً من عين ذات الله»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الشطحات كثيرة جداً ولا حول ولا قوة إلا بالله، ونقول لهؤلاء بأن دعواكم جوفاء يعز عليها المعنى الصحيح، فأصحاب النبي صلوات الله عليه وهم أعلم الخلق بمراد الله - عزَّ وجلَّ - ورضوانه لم يبالغوا في مدح النبي صلوات الله عليه، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، بل كان مدحهم للنبي صلوات الله عليه في إطار الكتاب والسنة لا يتعدى ذلك على الرغم من عظيم حبهم له صلوات الله عليه، فقد قدموه في الحب على النفس والأهل والمال والولد والناس أجمعين.

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٤٥).

(٢) ديوان البوصيري (ص ٢٠٠).

(٣) «النعمة القدسية في شرح الصلوات المحمدية الإدريسية» (٩).

فهذا المغيرة بن شعبة يقف ليظلل على رأس النبي ﷺ من الشمس في صلح الحديبية، فجاء عروة بن مسعود الثقفي رسولا من قبل قريش للنبي ﷺ في الحديبية، وجعل عروة بن مسعود يكلم النبي ﷺ وكلمه كالمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة عند رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال: «أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

يبقى أن تعلم أن المغيرة بن شعبة ابن أخي عروة، هذا هو الحب الصادق، ولك أن تتخيل مشهد أبو دجانة في غزوة أحد وهو يترس على رسول الله ﷺ والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك. وتدبر مشهد طلحة وهو يقاتل أمام النبي بمئة وسرة وترس مع النبي بترس واحد وشلت يده فلا يبالي، المهم هو نجاة النبي ﷺ. . هذا هو الحب الصادق. وعليّ يوم أن نام في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة، وهو يعلم أنه إلى فناء، ولم لا، فليفتني علي وليبقى حامل لواء الدعوة ﷺ، هذا هو الحب الصادق. وهذه الصحابة الجليلة التي قُتل يوم أحد أبوها وأخوها وزوجها، فقالت: كيف فعل رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: هو على خير ما تحبين، فقالت: دعوني أنظر إليه، فلما رآته قالت: كل مصيبة دونك جليل يا رسول الله. . هذا هو الحب الصادق.

فنقول لدعاة المحبة الفارغة من المعاني: تبّأ لكم، فهؤلاء أصحاب النبي ﷺ أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين والذين فادوا النبي ﷺ بكل شيء لم يغالوا في النبي ﷺ ولم يخرجوه عن كونه بشر ﷺ، لعلمهم أنه هذا هو الحق الذي يرضي الله ورسوله.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٣١-٢٧٣٢)، وأبو داود (١٧٥٤)، والنسائي (٢٧٧١).

• ورحم الله من قال:

من يدعي حب النبي ولم يصد ♦♦ من هديه فسفاهة وهراء  
فالحب أولى شرطه وفروضه ♦♦ إن كان صادقاً طاعة ووفاء

ومحبة النبي ﷺ على درجتين كما قال ابن رجب. رحمه الله .:

إحداهما فرض؛ وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتفاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بد منه ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية فضل؛ وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسترته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحس معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة والإهتمام بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة<sup>(١)</sup>.

(١) استشاق نعيم الأنس؛ (ص ٣٤-٣٥).

## ثواب محبة النبي ﷺ

### وَبُشْرَاكَ يَا ثُوبَانَ

قال القرطبي: كان ثوبان مولى رسول الله ﷺ شديد الحب له قليل الصبر عنه، فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يُعرف في وجهه الحزن، فقال له النبي ﷺ: «مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ؟»<sup>(١)</sup>، قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بِي ضُرٌّ وَلَا وَجَعٌ، غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اشْتَمْتُ إِلَيْكَ وَاسْتَوْحِشْتُ وَحِشَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَلْقَاكَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ الْآخِرَةَ، وَأَخَافُ أَنْ لَا أَرَكَ هُنَاكَ، لِأَنِّي عَرَفْتُ أَنَّكَ تَرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَأَنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ كُنْتُ فِي مَنْزِلَةٍ هِيَ أَدْنَى مِنْ مَنْزِلَتِكَ، وَإِنْ لَمْ أَدْخُلْ لَا أَرَكَ أَبَدًا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَوْلَهُ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩).

❖ رضى الله عن ثوبان، حاله مع رسول الله ﷺ كما قال الشاعر:

الحزن يحرقه والليل يقلقه ❖❖ والصبر يسكته والحب ينطقه  
ويستر الحال ممن ليس يعذره ❖❖ وكيف يستره والدمع يسبقه

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا»، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكنني أحب الله ورسوله، قال: «أنت مع من أحببت»<sup>(١)</sup>. وعن صفوان بن قدامة قال: هاجرت إلى النبي ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله، ناولني يدك أبياعك، فناولني يده فقلت: يا رسول الله، إني أحبك، قال: «المرء مع من أحب»<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه: البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦١٦٨-٦١٦٩) عن عبد الله بن مسعود، (٦١٧٠) عن أبي موسى، ومسلم (٢٦٤٠) عن عبد الله بن مسعود.

وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحسين فقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر: كان رجل عند النبي ﷺ ينظر إليه لا يطرف، فقال: «ما بالك؟»<sup>(٢)</sup>، قال: بأبي أنت وأمي، أتمتع من النظر إليك، فإن كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ الآية.

عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ وهو محزون، فقال له النبي ﷺ: «يا فلان، مالي أراك محزوناً»<sup>(٣)</sup>، قال: يا نبي الله شيء فكرت فيه، قال: «ما هو؟»، قال: نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك، وغداً تُرفع مع النبيين فلا نصل إليك، فلم يرد النبي ﷺ شيئاً، فاتاه جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ الآية، فبعث النبي ﷺ فبشره.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليّ من نفسي وأحب إليّ من أهلي وأحب إليّ من ولدي، وإنني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ الآية<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٣٣)، عبد الله بن أحمد (٧٧/١).

(٢) ذكره القاضي عياض في «الشفاء» (٢٠/٢).

(٣) مرسل: رواه ابن جرير الطبري (١٦٣/٥).

(٤) حسن: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٧): رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران وهو ثقة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني لأحبك حتى إن لأذكرك في المنزل فيشتق ذلك علي، وأحب أن أكسون معك في الدرجة، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - هذه الآية<sup>(١)</sup>.

وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحب»<sup>(٢)</sup>. قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث.

وفي رواية عن أنس أنه قال: إني أحب رسول الله، وأحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وأرجو أن يبعثني الله معهم وإن لم أعمل كعملهم.

فتواب محبتك للنبي صلى الله عليه وسلم أن تكون في معيته في الجنة، تنعم بصحبته، فبشراك ثم بشراك أيها المحب للحبيب صلى الله عليه وسلم.



(١) رواه الطبراني (١٢/١٢٥٥٩)، وفيه عطاء بن السائب اختلط.

(٢) البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).